13 me Année No. 636

Lundi - 10 - 9 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

يدل الاشتراك عن ستة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ شوال سنة ١٣٦٤ — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

تنافس المستعمرين

في الشرقين الأدنى والأوسط

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

من توخّى أن يعرف الحقيقة كلها في حوادث هذين الشرقين السياسية استدعى هذا الغرض النبيل أن يرجع صاحبه ولو قليلا إلى التاريخ : لأن الزمن سلسلة متصلة الحلقات يرتبط فيها الحاضر بالماضي ارتباط المسبب بالسبب ، ويرتبط بالمستقبل ارتباط السبب بالمسبب ؛ ويستدعي هذا الغرض أيضاً كل الالتفات إلى عوامل المصالح الاستعمارية والسياسة الدولية في الشرق

ومهما يكن شأن التطورات الاجتماعية والانقلابات السياسية المختلفة ، وشأن التوازن الجديد بين الدول العظمى التي تتوزع بأعيننا وأسماعنا أقطار هذه الكرة الأرضية وشعوبها ؛ ومهما يكن لتقدم العلم والفن ولتطبيقاتهما العملية من أثر في النفوس والعقول ، يبقى التاريخ بأنواعه الشتى مرآة الحياة البشرية ، ونبراساً ينير البصائر لبقاء السنن الأساسية العاملة في البشر ما بقيت جبلتهم على ما هي عليه منذ نشأة الإنسان الأول . وليس يوجد سبب غير وهمي ، وإن صدق أفراد فضلاء في تمجيد المثل العليا ، وفي اعتقادهم سمو الإنسانية نحوها ، يثبت أن القوى سوف لا تستغل الضعيف ولا يحاول أن يبقيه مقيما على الضعف بالنسبة إليه ليحفظ قدرته ومصلحته بالقوة أو بالتمويه والرياء

* * *

فمن التاريخ أن الاسكندر الذي مزق امبراطورية الفرس لم تدم فتوحاته ، ولكن كان من نتائجها أن عرف العالم الغربي طرقاً إلى الغزو ، وقد التفت إليها نابليون وهو يضع مشروعاته المختلفة لمحاربة الإنجليز في الهند . أما الرومان فقد أظهرت معاركهم في الشرق الأدنى قيمة دجلة والفرات من حيث هما طريق إلى غزو فارس والخليج الفارسي والهند . وأدركوا أن الثروات الآسيوية لم تكن في جزيرة العرب ولا في أثيوبيا ، بل كانت تنقل من الهند فاتجهت جهودهم إلى التسلط على شواطئ هذه الجزيرة

قام اليونان والرومان وحدهم في أيامهم بالتوسع الأوربي في الشرق الأدنى . على أن أمم أوربة الغربية كانوا متصلين بآسية منذ عهد قديم بوساطة المسيحيين الكثيرين الذين ظلوا يحجون الأماكن المقدسة . ولما جاءت الحروب الصليبية نشأت إمارات مسيحية في سورية ومملكة في القدس . وكان لفرنسا شأن كبير في هذه الحروب ، وهي تعد هذا الشأن أصل ما تدعيه سياستها من ذكرى وآثار تتعلق بآسية الصغرى وسورية وفلسطين ومصر ، ودخلت تلك الدويلات المسيحية في معاملات تجارية ، فأخذ تجار جنوة والبندقية وبيز ومرسيلية يتاجرون في الثغور السورية

ثم جاء استيلاء العثمانيين على قسطنطينية ضربة شديدة في تجارة جنوة . ولم تكن فرنسا ولا انجلترا ولا هلانده ولا البرتغال

قادرات يومئذ على منافسة البندقية فى الشرق ، فاحتكرت هذه الجمهورية التجارة فى جميع البحر المتوسط احتكاراً عملياً . وقد أيد ثراء البندقية العظيم أحاديث عجائب أذاعها رجال الدين والتجار الذين حملوا أنفسهم على أخطار التوغل فى آسية من مفتتح الحروب الصليبية ، ووصفوا الوفر من الثروات فى بعض جهات القارة الآسيوية ، فحاول شعوب أخر أن يستدركوا ما أصبح عليه البنادقة من احتكار التجارة الشرقية ؛ ولذا عالجوا افتتاح طريق جديد إلى الهند من الشرق أو من الغرب . وأحدثت سياحة فسكوده جامه انقلاباً تاماً فى علاقات أوربة بآسية ، فقرر البرتغاليون أن يحتكروا كل تجارة فارس والهند وأرخبيل الملايو احتكاراً عملياً بتحويلها إلى لشبونة من طريق رأس الرجاء الصالح الجديد ، ولما ضمت أسبانيا البرتغال انتقلت تجارة المحيط الهندى شيئاً فشيئاً إلى الهلانديين ، ولم يلبث الإنجليز والفرنسيون أن نافسوهم فى الخليج الفارسى ، ثم تنافس الفرنسيون والإنجليز من ذلك العهد على طرق الشرق الأدنى التجارية

إن آسية وأفريقية أوسع ميادين الاستعمار ، وهما أسواق ومستغلات ، والهند أعزها لدى انجلترا ، وقد وضعت مشروعات فرنسية لغزوها على عهد بونابرت وقبله . فأصبحت الهند فى القرن التاسع عشر العامل الموجه للسياسة البريطانية فى الشرق الأدنى . كانت بريطانيا تخشى على الهند غزوات المستعمرين من طرق سورية وقزوين ونهر أكسوس ، فلم تنتفع قبل الحرب الكبيرة الماضية إلا بالطريق البحرى ؛ وظلت مدة ضعف الدولة العثمانية وطيلة القرن التاسع عشر تحول دون الانتفاع بالطرق الأرضية : إذ اجتهدت فى إبعاد فرنسا عن مصر وسورية وبلاد العرب ، وفى منع روسيا من تثبيت قدمها على الخليج الفارسى ، ومن الاستيلاء على إيران والأفغانستان وبلوخستان ، وتحت بعزم كل دولة منافسة عن هذا الخليج . وكانت فى آخر القرن الماضى قد أتمت احتلالها المواقع الحربية فيه : فجعلت خمسة عمال سياسيين من إنجليز الهند ساهرين منذ تلك الأيام على المصالح البريطانية فى مسقط والكويت والبحرين وبندر عباس وبندر بوشير ، وسلطة هؤلاء العمال تعتمد على أسطول صغير قوى وفرقة من الجنود الهندية معسكرة فى جسق بمدخل الخليج الذى ردته بذلك بحيرة انجليزية ، فصار ميسوراً على الدوام أن تجتازها حملة انجليزية تسرع من الهند صوب شط العرب لتنقض من خلف وجنب معاً على كل جيش يقصد الهند من طريق الفرات . وقد حصلت انجلترا من تركيا بالمعاهدة السرية المعقودة فى ٤ يونية عام ١٨٧٨ على حق الحلول بقبرص ، وهذه الجزيرة موقع حربى من الطراز الأول يسمح لها بمراقبة طريق الفرات والإشراف على خليج الإسكندرونة — وصد الروس عن طريق فلسطين ، إذ كان المثلون الروسيون يطلبون حماية الأرثوذكس فيها برغم معاهدة عام ١٨٥٦ التى ختمت حرب القرم

طال عهد التنافس بين انجلترا وفرنسا فى الشرق الأدنى ، ولم ينته فى مصر إلا بالاتفاق الودى عام ١٩٠٤ ، لكن هذا الاتفاق لم يحدد مصالح الدولتين فى سورية . لذا ظل رجال الاستعمار البريطانى والموظفون الإنجليز فى مصر يعدون أن سورية سوف تصير ملحقة بمصر . وقد كانت سياحة السير اللن غورست عام ١٩٠٩ فى سورية المطموع فيها سبب إشاعة اضطرت فرنسا إلى — طلب بيان عنها من انجلترا . واتفق الدولتان فى ديسمبر عام ١٩١٢ على مصالحهما فى ذلك القطر ، وحصلت فرنسا بعد من تركيا على امتيازات أزعجت بعض الإنجليز ، فقام السير مارك سايس فى مجلس العموم يشكو من تأمين فرنسا باتفاق عام ١٩١٢ ، ومن الطريقة التى أولت بها هذا التأمين . فأجاب وزير الخارجية البريطانية بأن الحكومة باقية على سياسة حفظ كيان الامبراطورية العثمانية ، وإن ذلك التأمين إنما كان تهدئة لفرنسا ، ولم يقصد به غير مصالحها الاقتصادية فيما يتعلق بالسكك الحديد ، ولم يكن فى الأمر تعيين مناطق نفوذ ؛ وإن الحكومة لم تفعل ذلك إلا تكذيباً — لشائعة أراد بها ناشروها أن يثبتوا أن سعى بعض الموظفين البريطانيين مآله ضم سورية إلى مصر

ويوم نهضت ألمانيا نهضتها لم تلبث أن نظرت ببين الاستعمار إلى الشرق ، خصوصاً بعد مؤتمر برلين لعام ١٨٧٨ ، حيث أيدتها انجلترا ، إذ كانت مشغولة بإبعاد روسيا عن استنبول قبل كل شىء . وسرعان ماوضعت ألمانيا برنامجها لتحقيق أطماعها على مبدأ « الزحف إلى الشرق » Drang Nach Osten . وهو برنامج بدأ يتضح منذ حصلت على امتياز السكة الحديد البغدادية .

لم تدرك ألمانيا اقتسام أفريقية ، فاتجهت إلى آسية حيث أرادت أن تتخذ مناطق امبراطورية ، أو شبه هند ألمانية تجعل الأنضول وقيلقية وما بين النهرين جميعاً أرضاً جرمانية ومستعمرة عظيمة للاسكان يمكن أن تنتشر فيها الثقافة الألمانية ، وأن تصير أيضاً أسواقاً كبيرة الشأن لمصنوعات ألمانيا . وقد كانت مصانعها راغبة فى إنتاج أطنان من القضبان والمواد المختلفة لإنشاء سكة حديد عظيمة تخترق آسية الصغرى إلى الخليج الفارسى ، وترسل فروعها إلى البحر المتوسط والقوقاز وإيران

رأت ألمانيا ، فى سبيل تنفيذ برنامجها ، أن توحى إلى السلطان عبد الحميد أنها صديقته الوحيدة ، وأن مستقبل دولته فى البلاد العربية وفى ظل الخلافة ، إذ كان يومئذ يشعر بانهيار نفوذه فى أوربة ، ويجد أن كل دولة غربية اقتطعت حصة من امبراطوريته فسعت ألمانيا فى أن تجعل نفسها الحامية المتينة للامبراطورية العثمانية ، وأن تجتهد فى توطيدها بتشجيع الجامعة الإسلامية ، وإعادة تنظيم الجيش التركى وإسداء المشورة للسلطان فى سياسة سكك حديد الغرض منها تسهيل التعبئة واحتشاد الجنود فى مكان الحاجة

أما الأمانى الروسية ومصالح انجلترا وفرنسا المستديمة منذ أجيال فى الشرق الأدنى ، فلم تكن نية الألمان أن يصدموها رأساً ، ولما لم يذكروا الاستعمار ولم يكن فى كلامهم الرسمى سوى إحياء الموات فى أملاك عثمانية وتحويل ذلك القواء الفسيح ، بعد خصب واكتظاظ بالسكان إلى أراض اقتصادية ، فتستفيد حينئذ مصالح الجميع من عمل ألمانيا . وحتى يمتد الاستعمار الألمانى من بعد إلى سهول ما بين النهرين الكلئة ، وتصل السكة الحديد إلى الخليج الفارسى ينادى القيصر يومئذ بأنه السيد الحقيقى للامبراطورية العثمانية ويعلن حقوقه فى آسية الوسطى

غير أن انجلترا لم يكن فى استطاعتها أن تقبل مد السكة الحديد من بغداد إلى الخليج الفارسى ، وهى تجتهد منذ قرن فى أن تجعله بحيرة انجليزية ، ولم تكن فى غناء من جهة أخرى عن الأشراف على مصب شط العرب لضرورة أن تمر به السكة الحديد التى كانت تحلم بمدها إلى الهند . من أجل ذلك حالفت الشيخ مبارك ، شيخ الكويت ، فنزل لها سراً عن خور عبد الله . ولما كانت ألمانيا تريد أن تبلغ البحر بأى ثمن ، فقد أوعزت إلى تركيا أن توطد سيادتها الفعلية على الكويت بمساعدة ابن الرشيد . وبالغ السلطان عبد الحميد فى تقدير التأييد الألمانى له ، فحاول عام ١٩٠٠ أن يثبت سيادته عملا بتلك المشورة . لكن انجلترا كانت ساهرة ، فاضطرت الطوابير التركية إلى الانسحاب بأمر من قائد أسطول الخليج الفارسى ، وبقيت الحال على ما كانت عليه ، وعادت تركيا عام ١٩٠٢ ، فاحتلت جانباً من الشاطئ شمالى الكويت ، فقابلت انجلترا ذلك عام ١٩٠٣ بإعلان حمايتها لهذا الثغر ، وعينت وجهة نظرها بالدقة تلقاء المطامع الألمانية ، إذ قال اللورد لانسداون فى ٥ مايو عام ١٩٠٣ بمجلس اللوردات :« إنى أقول غير متردد إننا نعد قيام دولة أخرى بإنشاء قاعدة بحرية أو ثغر محصن فى الخليج الفارسى تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية ، ونحول دونه حقاً بكل ما لدينا من وسائل »

ثم عقدت انجلترا اتفاقاً مع تركيا فى الربيع من عام ١٩١٤ عين البصرة مكاناً تنتهى فيه السكة الحديد البغدادية ؛ وشرط الاتفاق أن يكون لانجلترا فى مجلس الإدارة بشركة هذا الخط عضوان يشرفان على كل ما يتعلق بإدارة مرحلته بين بغداد والبصرة ؛ واعترفت انجلترا فى الاتفاق بسيادة تركيا على ثغر الكويت بشرط أن يحترم السلطان ما يتمتع به شيخه من الاستقلال الذاتى ، ويحترم أيضاً ما بين الشيخ وحكومة لندن من الاتفاقات ؛ ونزلت تركيا عن حقوقها على جزر البحرين وشبه جزيرة قطر ، وأراضى عمان حتى مسقط ؛ وشرط الاتفاق أيضاً لانجلترا حرية الملاحة على دجلة إلى بغداد ، وحق الإنارة ووضع علامات المخاطر ، وحق القيام بأعمال البوليس أى حفظ النظام والأمن ، وذلك كله فى النهر وفى الخليج جميعه

ولما أوضحت الاتفاقات الدولية الوقف إيضاحاً كافياً رأت الحكومة الإنجليزية أنها أصبحت بعد ذلك على استعداد لمباحثة الحكومة الألمانية رأساً ، ورغبت فى عقد اتفاق مع ألمانيا ، فكلفت هذه البرنس لخنوفسكى سفيرها فى لندن أن يفاوض السير جراى ، وتقارب وجهتا النظر قبيل الحرب الكبيرة الماضية

تقارباً يفتح باباً للأمل فى عقد اتفاق شرق ومعاهدة استعمارية بين ألمانيا وانجلترا. وقد عقدت هذه المعاهدة فى ١٥ يونية عام ١٩١٤ وأشار إليها السير جراى فى مجلس العموم فى ٢٩ من الشهر عينه، وسميت معاهدة بغداد. وقد اعترفت فيها انجلترا لألمانيا بامتيازات عظيمة، إذ أصبح لها حرية التصرف فى السكة الحديد الأناضولية وسكة بغداد، مع احتفاظ انجلترا بجميع حقوقها السابقة فى هاتين المنطقتين. لكنها نجحت فى إبعاد منافستها إبعاداً مؤقتاً على الأقل عن شواطئ الخليج الفارسى. فكان من الممكن إذن أن تنجح يوماً فى تحقيق مشروعاتها المتعلق بإنشاء سكة حديد امبراطورية انجليزية تصل بور سعيد بالكويت، ثم تمتد على الشواطئ الإيرانية إلى الهند. ويقول البرنس لخنوفسكى فى مذكراته: «كان الغرض من هذه المعاهدة فى الواقع تقسيم آسية الصغرى «مناطق نفوذ»، غير أنه كان واجباً أن نتفادى من استعمال هذه العبارة بأعظم عناية مراعاة لحقوق السلطان»

ولا شىء أدل من اعتراف البرنس لخنوفسكى هذا على ما يجب أن يعرف الشرقيون من معنى صداقة الدول المستعمرة ومعنى التصريحات السياسية المتعلقة بحفظ كيان الامبراطورية العثمانية كتصريح وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم بشأن تأمين فرنسا فى اتفاق عام ١٩١٢ المتعلق بسورية؛ وليس أوضح من ذلك الاعتراف فى بيان ما يجب أن يفهم الشرق من معانى الاستقلال وما شاكل هذه الكلمة على ألسنة السياسات الاستعمارية

ولا شك فى أن الاتفاق الثلاثى بين فرنسا وروسيا وانجلترا جعل غليوم الثانى على يقين من أنه لا يستطيع تحقيق أطماعه فى الشرق بغير التجاء إلى القوة، لكنه مع عزمه على الحرب كان راغباً فى تأجيل موعدها إلى اليوم الذى تصبح فيه قوة الأسطول الألمانى مساوية قوة الأسطول الإنجليزى. أما الاتفاقات الشرقية التى قبل أن يعقدها، فكان غرضه منها تأخير أجل الحرب على أمل أن يفك عرى ذلك الاتفاق الثلاثى بسياسته. بيد أن الحرب البلقانية الثانية انتهت بمعاهدة بخارست المعقودة فى ١٠ من أغسطس عام ١٩١٣؛ وقد وزعت معظم الأراضى العثمانية فى أوربة على أكبر دول البلقان شأناً، خصوصاً سربيا واليونان، فسببت بذلك اندفاع ألمانيا فى سبيل الحرب وانجرار امبراطورية النمسا والمجر معها: فقد كان الامبراطوران يتوقعان أن يسحق الترك سربيا واليونان، فإذا بهاتين الدولتين تصبحان سداً أمام ألمانيا فى طريق الشرق وأمام امبراطورية النمسا والمجر فى طريق سلانيك وازدياد قدرة سربيا يمنع تنفيذ برنامج التوسع الجرمانى بالحيلولة دون كل وصلة تجتاز البلقان بين أوربة الوسطى والامبراطورية العثمانية. من أجل ذلك لم يكن فى وسع الامبراطوريتين الجرمانيتين أن تعدا معاهدة بخارست نهائية، فلم يبق بد من الحرب فى أجل قريب. ولما اتخذنا حادث سرجيفو حجة لإشعالها، لأنهما كانتا متأهبتين لها. ويقول السفير مُرجَنتو فى مذكراته عام ١٩٠٩: «الآن يعرف العالم إن لم يعرف عام ١٩١٤ أن ألمانيا تعجلت الحرب لتهدم سربيا وتتولى الإشراف على الأمم البلقانية وتحول تركيا إلى دولة تابعة لها، وبذا تبتنى امبراطورية شرقية واسعة، لو بنيت لكانت أس سيادة عالية لا حد لها»

محمد توفيق الحكيم

ظهر حديثاً كتاب:

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً